Redhouane BENIA¹ & Meftah LAKHDARI²

**ARABIC LANGUAGE SONOROUS SOUNDS IN THE ANCIENT
ARABIC LESSON OF SOUNDS: DESCRIPTIVE AND
ANALYTICAL STUDY**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.5-3.29>

Research Article

Received:

20/04/2021

Accepted:

13/05/2021

Published:

01/06/2021

This article has been
scanned by **iThenticat**
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

Among what some oriental researchers had decided, and has been followed by many of modern Arab researchers, is that the ancient arabic linguistics didn't pay attention to sonorous sounds in Arabic language so well as their consideration to the mute sounds. Their point of view is that these sounds got only superficial mentions, therefore, they didn't arrive to define the nature of these letters pretending that ancient phonologique scientists were considering them casual sounds, a part of mute sounds, in addition their effectiveness to the script more than their effectiveness to the aural.

Although, if we get back to the patrimonial phonetic resources and read our ancient Arab scientists achievement, we find the opposite. What they arrived to in their researches in the description of sonorous sounds in its physiological and physical parts, or in its functional and syntactic parts, is not far from that proved by modern researchers of phonetics.

Thus, this research will, through description and analysis, work on the study of sonorous sounds in Arabic language by our ancient scientists. It will also see in the importance of their sonorous achievement.

Key words: Sonorous Sounds, Mute Sounds, Movements, Modern Phonetic Scientists, Ancient Phonetic Scientists.

¹ Researcher, Algiers 2 University, Algeria, redhouanebenia88@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0003-3191-4406>

² Researcher, Tlemcen University, Algeria, meftah26008@yahoo.com, <https://orcid.org/0000-0003-1182-7823>

الأصوات الصائتة للغة العربية في الدرس الصوتي العربي القديم دراسة وصفية تحليلية

رضوان بنية³
مفتاح لخضاري⁴

الملخص

مما قرّره بعض المستشرقين الباحثين في علم الأصوات، وتبعهم فيه كثير من الباحثين العرب المحدثين، أن اللسانيين العرب القدامى لم يهتموا بالأصوات الصائتة في اللغة العربية، اهتمامهم بالأصوات الصامتة، - ففي نظر هؤلاء - لم تنل هذه الأصوات عندهم سوى إشارات سطحية، ومن ثم لم يُوفقوا في وصف طبيعة هذه الحروف. ويُعزّون ذلك إلى أن الصوتيين القدامى اعتبروها أصواتاً عارضة، تابعة للأصوات الصامتة، فضلاً عن تأثرهم بالخط، أكثر من تأثرهم بالنطق.

لكن إذا رجعنا إلى مصادر الصوتيات التراثية، واستقرأنا المنجز الصوتي لعلمائنا العرب القدماء نجد خلاف ذلك فما توصّلوا إليه في بحوثهم في وصف الأصوات الصائتة سواء من الناحيتين: الفيزيولوجية والفيزيائية، أم من الناحيتين: الوظيفية والتركيبية، لا يبتعد كثيراً عما أثبتته الباحثون المحدثون من علماء الصوتيات.

من هذا المنطلق سيتناول هذا البحث بالوصف والتحليل، دراسة علمائنا القدماء الأصوات الصائتة في اللغة العربية، وسينظر في أهمية المنجز الصوتي عندهم.

الكلمات المفتاحية: الصوتيات، الصوامت، الحركات، الصوتيون المحدثون، الصوتيون القدماء.

المقدمة:

أولت الأمة العربية عناية كبيرة بعلم الأصوات خدمة للقرآن الكريم، وقد أقر بهذا كثير من الباحثين حتى المستشرقين منهم، غير أن هناك من يرى بأن اهتمام العرب بعلم الأصوات كان منصبا على الحروف الصوامت، إذ - حسب رأيهم - لم تلق الصوائت الاهتمام الكافي من الدراسة كما هو الشأن بالنسبة للصوامت، وإن نظرتهن إليها كانت سطحية غير كافية، ومن ثم لم يوفقوا إلى وصف طبيعة هذه الحروف خاصة القصيرة منها (الحركات)، بل إن بعض المحدثين يحكم بكون العلماء القدامى قد أهملوا الصوائت الطويلة والقصيرة في منجزهم الصوتي، يقول برجشتراسر "إنّ التحوين القدامى، وإن كانوا أَلَمُوا بخواصّ الحروف الصّامّة إلّامّا مقبولا حسنا، فلم يوفقوا إلى معرفة طبيعة الحروف الصائتة " (برجشتراسر، 1982، صفحة 53) وقد وافقه في هذا الطرح من المحدثين العرب عبد العزيز حليبي، يقول "لقد اهتم نحاة العربية المتقدمون بالأصوات الصامتة واللينّة اهتماما بالغاً كما يتضح مما قدمناه سالفاً، والسّرّ في ذلك هو أن هذين النوعين من الأصوات يكونان المادة التي تتألف منها أصول الكلمات في العربية، ولكنهم أهملوا الأصوات المصوّنة القصيرة والطويلة (أو الحركات وحروف المد كما كانوا يسمونها)" (حليبي، 1991، صفحة 66)، نفس الرأي نجده عند الطيب البكوش يقول: "ولا يسعنا إلّا أن نلاحظ في نطاق وصف النظام الصوتي العربي نقصا يتمثل في إهمال النظام الحركي العربي" (البكوش، 1974، صفحة 148/149) والسبب - في رأيهم - يعود إلى "طبيعة اللغة العربية الاشتقاقية والخط العربي الحرفي، والفرق الكبير بين عدد الحروف والحركات، إلى جانب النظرية التي تعتبر الحركات متفرعة عن الواو والياء والألف " (البكوش، 1974، صفحة 149)، ويعزي بعض المحدثين عدم اهتمام العلماء العرب بالحركات إلى كونها أصواتاً عارضة تابعة للصوامت يقول "كمال بشر: "ولسنا نجاوز الحقيقة حين نقرر أن علماء العربية القدامى، لم يعنوا بالحركات العناية اللائقة بها، فقد عدّوا الحركات أشياء عارضة تعرض للأصوات الصامتة فهي تبع لها، وليست مستقلة مثلها" (بشر، علم اللغة العام الأصوات، 1980، صفحة 190)" بالإضافة إلى غياب علامات الحركات القصار في الكتابة أحيانا، الأمر الذي نتج وينتج عنه الخلط في كلم العربية والوقوع في الزلل والخطأ" (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 416) ولأن العرب "كانوا يتأثرون بالخط خلافا للنطق فأروا أنه في بعض الأحيان لا يكتب بشيء البتة بين

³ الباحث، جامعة الجزائر 2، الجزائر، redhouanebenia88@gmail.com

⁴ الباحث، جامعة تلمسان، الجزائر، meftah26008@yahoo.com

الحروف الصامتة نحو "فَعَلَ" وأحيانا يكتب بينها حرف من حروف المدّ نحو "فاعل" فلم يدروا أن الحالتين سيّان في أن تنطق بعد الفاء حركة في كليهما، إلا أنها مقصورة في الأولى وممدودة في الثانية " (برجشستراسر، 1982، صفحة 53) لذلك لم تحض - في رأيهم - بالدّرس الكافي " فقد كانت الإشارة إليها سطحية، لا على أنها من بنية الكلمات، بل كعرض يعرض لها ولا يكون منها إلا شطرا فرعيا، ولعل الذي دعا إلى هذا أن الكتابة العربية منذ القدم عنيت فقط بالأصوات الساكنة فرمز لها برموز " (أنيس، الأصوات اللغوية، 1961، صفحة 36).

هذه الآراء كانت مثيرة دفعنا لطرح التساؤلات الآتية: هل حقيقة لم يوف العلماء العرب القدامى الصوائت حقها بالدراسة ولم يتوصلوا إلى معرفة طبيعتها؟ وهل كانت دراستهم للصوائت سطحية غير كافية على أنها عناصر صوتية عارضة تابعة للصوائت؟ وهل بالفعل أهملوا النظام الحركي العربي؟ من هذا المنطلق سيتناول هذا البحث بالوصف والتحليل موضوع الصوائت عند القدامى وسينظر في أهمية المنجز الصوتي عندهم، ليخلص إلى حصر ما توصلوا إليه من نتائج في هذا الباب.

أولاً: الصوائت: التعريف، المصطلح

الصوائت جمع صائت وهو ما يصطلح عليه باللغة الإنجليزية (vowel) وهو " ضدّ الجوامد أو الصوائت، فالألف والواو والياء تعدّ صوائت " (العبيدي، 2007، صفحة 114) وهي الأصوات التي يندفع فيها الهواء من الرئتين حرا طليقا دون أن يعترضه عائق أو حائل، مارّا بالحنجرة فالحلق فالغصن دون أدنى تضيق في مجرى الهواء، " لأنها تخرج بامتداد ولين من غير كلفة على أعضاء النطق، لأن مخرجها متسع، واتساع المخرج يؤدي إلى انتشار الصوت الخارج منه، والصوت إذا انتشر امتد ولان " (مكي، 1404 هـ، صفحة 126) "يقول كما بشر" صوت مجهور يحدث في أثناء النطق به، أن يمر الهواء حرا طليقا خلال الحلق والغصن دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا " (بشر، علم اللغة العام الأصوات، 1980، صفحة 105) هذا الوصف يصدق على الحركات وحروف المد، ويعرفها الرّازي "بأنها صوت مخصوص، يوجد عقيب اللفظ بالحرف" (الرازي، 1420 هـ، صفحة ج73/1) كما أن الواو والياء تكونان على شاكلة أخرى، كالواو في (بيت) أي الياء الساكنة المفتوح ما قبلها والواو في (موت) أي الواو الساكنة المفتوح ما قبلها، وهذا النوع من الحروف يطلق عليه القدامى (اللين)، وهذا ما عبر عنه سيبويه بقوله "ومنها اللينة، وهي الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما " (سيبويه أ، 1982، صفحة ج435/4) ويطلق عليه المحدثون أشباه الصوائت أو أشباه الحركات، كما يطلق عليها بعض المحدثين أشباه الصوائت، وذلك لاتصافها ببعض صفات الصوائت والصوائت.

فمصطلح الصوائت يطلق على حروف المد وهي الصوائت الطويلة، والحركات هي الصوائت القصيرة، فهما من نفس الجنس، فالكسرة والضمّة والفتحة مصوّتات قصيرة، والياء والواو والألف مصوّتات طويلة، فالحركات بالنسبة لحروف المد كالفرع بالنسبة للأصل، فالحركات "أبعض أحرف المد واللين" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج33/1) وقد وردت في الدرس الصوتي العربي القديم بعدة مصطلحات منها:

-أحرف الجوف: "لأنها تخرج من الجوف" (الخليل، صفحة ج57/1).
-صائتة ومصوّتة: يستعمله هذا المصطلح ابن جني وابن سينا "المصوّتة... ففيها امتداد ولين" (ابن جني، الخصائص، صفحة ج127/3) لأن الصوت يرتفع بها فيخرج الحرف الصامت إلى السّمع.
-الحركات: "لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه، ومستقره، وتجذبّه إلى جهة الحرف التي هي بعضه" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج19/1).

-وأصوات المدّ: لأنها "التي يمد بها الصوت" (سيبويه أ، 1982، صفحة ج426/3).
-اللين: يطلق على الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما لأنهما يخرجان بلين وبلا تكلف "لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما" (سيبويه أ، 1982، صفحة ج435/4)، هذا إذا ورد المصطلح منفردا، وهو يدل على حروف المد إذا كان معطوفا على مصطلح المد (حروف المد واللين).
-الذوائب: "لأنها تذوب وتلين وتمتد" (الزجاجي، 1986، صفحة 74).
-حروف العلة: نظرا لما يطرأ عليها من تغير من قالب صرفي إلى آخر، بسبب التحول أو الحذف والسقوط مثل: (قال) — (يقول) — (قل)

ومما يمكن استنتاجه من تعدد مصطلح الصوائت أن كل مصطلح يحيل إلى مستوى من مستويات التحليل اللغوي ويحمل في طياته خاصية من الخصائص التي تنماز بها الصوائت :

- فمصطلح الصائت أو المصوت: يشي بالبعد الفيزيائي فهي التي تحمل الحرف من جموده وتحوله إلى الصورة الفيزيائية المسموعة التي يتلقاها جهاز السمع.

- ومصطلح المد: فيه إشارة إلى البعد الفيزيائي أيضا كما يدل على كمية الصوت التي هي أكبر من الكمية التي تحظى بها الحركات، فهذه الأخيرة أبغض لها في الكمية.

- ومصطلح الحركات: يوحي بدورها الفيزيائي من جهة لأنها تقلق الحرف وتحركه، وبدورها الفيزيولوجي من جهة ثانية كونها تسمح بنطق الكلمات وذلك بمساعدة الصوامت على وصل بعضها البعض إذ لها دور لا يستهان به في بناء السلسلة الكلامية، وبالمستوى النحوي والدلالي من جهة ثالثة، إذ إن الحركات هي علامات تمييزية بها تتغير وظائف الكلمات في درج الكلام من فاعلية ومفعولية وحالية وغيرها... فهذا النوع من الحركات له اصطلاح خاص عند القدامى، فهي عندهم حركات الإعراب والإعراب كما هو معروف، هو تغير أواخر الكلمات لاختلاف العوامل الداخلة عليها، فكما أن الحركات الثلاث (الفتحة، الضمة والكسرة) علامات تميز الوظائف النحوية للكلمات، فكذلك الحروف علامات فرعية لها.

ويمكن أن نمثل لأثر الحركات على المستوى الدلالي بالمثلثات، وموضوعها المثلث الذي هو مجموعة تضم ثلاث مفردات تتفق في الصوامت عددا وترتيباً وتختلف في الحركات فيحصل بتغير الحركة تغير المعنى.

- ومصطلح حروف العلة: هو الآخر لا يخلو من الإحالة إلى وظائف صوتية تركيبية كالتخفيف، "لأن العلة ثقل، فعلى هذا يكون معناه لغة إزالة العلة" (ابن الغياث، 1975، صفحة 215/2) فهو يدل على ظاهرة الإعلال التي تحظى بها العربية. وتحقق هذه الظاهرة في العربية بحروف العلة الثلاثة (الياء والواو والألف)، إما بالقلب أو بالحذف أو بالنقل.

كما أن تعدد المصطلح في حد ذاته يشي بمدى اهتمام علماء العربية القدامى بالصوائت، كما أن هذا التعدد لم يحدث خلطاً ولا لبساً في التعامل مع الصوائت، خاصة وأن تعدده لم يمس بالماهية، فالصوائت معروفة كونها القسيم الثاني للصوامت.

ثانياً: الإرهاصات الأولى لاعتناء القدامى بالصوائت وأهميتها:

لما تفتشت ظاهرة اللحن في الأوساط العربية بسبب اختلاطهم بالأعاجم أحسّ العرب القدامى بالخطر الذي يحّدق باللغة العربية والقرآن الكريم ففكروا في ضبط قواعد معيارية تقي اللسان من الخطأ، وأول من اشتغل على هذا أبو الأسود الدؤلي بأمر من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك بعد أن دلّه على قاعدة أولية قدّمها له كمنطلق للتقعيد للعربية إذ قال له "إن الكلام كله اسم وفعل وحرف" (زغوان، 2005، صفحة 245)، حيث رأى أبو الأسود أنّ أهمّ درس يمكن الابتداء به هو المستوى الصوتي وبالضبط الحركات على اعتبار ما تؤدّيه من وظائف صوتية ودلالية، يقول د. حسام البهنساوي "لعل صنيع أبي الأسود يعد بداية اهتمام العلماء العرب بالحركات، وتنتههم إلى دورها وقيمتها في إحكام اللغة وضبطها" (البهنساوي، 2005، صفحة 107) ولأنّ الخطأ يكثر فيه فلو تبتّعنا اللحن الذي مسّ اللغة - وما زال يمسّها - سنجد أنه يقع على الصائت، لذلك كان الصائت من الأسس الهامة لتعلم أية لغة وتأديتها بقواعدها التي تحكمها، فالصائت في اللغة العربية يتغير بتغير أواخر الكلمات ويتغير بتغير الصيغة" (فكاوني، 2017)، فقد وضع لها أبو الأسود رموزاً كتابية بالنظر إلى طريقة التصويت وشكل الشفتين، فقال لكتبه "إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه وإن ضمنت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف" (ابن النديم، 1997، صفحة 61/62).

يعد هذا الصنيع "إدراكاً من أبي الأسود بدور الشفتين وأحوالها من فتح وضم وكسر في التمييز بينها" (البهنساوي، 2005، صفحة 107)، هذا لا يعني أنّ الحركات لم يكن لها كيان قبل صنيع أبي الأسود، بل إنها كانت ملازمة للغة المنطوقة لا تنفك عنها، بل إن العرب كانت تصور الحركات حروفاً "قال الداني: إن العرب لم تكن أصحاب شكل ونقط، فكانت تصور الحركات حروفاً، لأن الإعراب قد يكون بها كما يكون بهن، فتصور الفتحة ألفاً، والكسرة ياء، والضمة واوا، فتدل هذه الأحرف الثلاثة على ما تدل عليه الحركات الثلاث من الفتح، والضم، والكسر" (أبو داود، 2002، صفحة 247/1)، فعلى هذه العلاقة (الجزئية - الكلية) ابتكر الخليل علامة (الفتحة ـــ الضمة ـــ والكسرة ـــ)، واختار لها صوراً من جنس حروف المد و"لما كانت الحركات أبعاد حروف المد نطقاً وجب أن تكون بعضها كتباً" (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 221)، وهذا دليل قاطع على اهتمام العرب القدامى بالصوائت في وقت مبكر.

ونظراً للأهمية البالغة التي تحظى بها الصوائت في العربية، اعتنى بها القدامى اعتناء لا يفرق كثيراً عن اعتناء المحدثين بها، إضافة إلى أن النتائج المتوصل إليها من طرف الرعيل الأول من علمائنا لا يستهان بها، وبالرغم من أن الصوائت أقل عدداً قياساً بعدد الصوامت، فهي ثلاثة من حيث النوع والتي عبر عنها المتقدمون بالحركات وهي (الكسرة، الضمة والفتحة)، وثلاثة من حيث الكم وهي حروف المد (الياء، الواو، الألف)، والمقصود بالصوائت الستة تلك التي لها قدرة على التمييز بين المعاني بقطع النظر عن الصوائت اللهجية التي هي عبارة عن تأديتات للصوائت الستة المعيارية والتي يصطلح عليها في الدرس الصوتي الحديث بـ: الألوفونات ((Allophones)، فأهميتها تكمن في كثرة شيوعها في الاستعمال، فهي أكثر دوراً في اللغة العربية مقارنة بالصوامت نظراً لاتسامها بالمرونة، يقول سيبيوه (180هـ): مينا هذا الجانب من الأهمية "فأما الأحرف الثلاثة فإنهن يكثرن في كل موضع، ولا يخلو منهن حرف أو من بعضهن (...) ثم ليس شيء من الزوائد يعدل كثرتهن في الكلام، هن لكل مد، ومنهن كل حركة" (سيبيوه أ.، 1982، صفحة 318/4) "فإذا كانت نسبتها من أصوات العربية لا تزيد عن الخمس، فإن نسبة استخدامها قد تصل إلى قريب من النصف" (قدوري الحمد، 2002،

صفحة 140)، ويدل على أهميتها أيضا ملازمتها للصوامت فكما أن الكلمات تتألف من الحروف فإن الحروف تتألف من الصوامت، فالصامت لا يمكن نقله من صورته الذهنية إلى صورته الفيزيائية المسموعة إلا بدعمه بصائت مناسب، يقول سيبويه نقلا عن الخليل " وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والفتحة زوائد وهنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به" (سيبويه أ، 1982، صفحة ج 242.241/4) و"لأنه لا يجري الصوت في الساكن، فإذا حرك انبعث الصوت في الحركة، ثم انتهى إلى الحرف، ثم أشبعت ذلك الحرف ومطلته" (ابن جني، الخصائص، صفحة ج 130/3) وذلك لأنّ الصامت ساكن في الأصل، قابل للتحريك ولا يتأثّر له ذلك إلا بوصله بحركة قصيرة أو طويلة.

ثالثا: علاقة الصوامت القصيرة بالطويلة.

تقتضي ضرورة البحث أن يشار إلى علاقة حروف المدّ بالحركات كما أشار إليها المتقدمون من علماء العربية، فقد لاحظوا العلاقة بين الصوامت الطويلة (حروف المدّ) والصوامت القصيرة (الحركات)، يقول سيبويه نقلا عن شيخه الخليل " وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به. والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه. فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو. فكلّ واحدة شيءٌ مما ذكرت لك " (سيبويه أ، 1982، صفحة ج 242/4) ويقول: "وإنما الحركات من الألف والياء والواو" (سيبويه أ، 1982، صفحة ج 101/4) لم يتوقف إدراك القدامى بأن الحركات هي من جنس حروف المدّ وأبعاضها عند هذا الحدّ فحسب، بل نجد بعضا منهم يسميها حروفا كنظيراتها لأنها تحمل نفس خصائصها، إلا أنها أقل منها في كمية الصوت، يقول أبو علي الفارسي " وهذا الذي يسمّيه أهل العربية حركة حقيقة أنه حرف، فالفتحة كالألف والضمة كالواو والكسرة كالياء في أنهنّ حروف كما أنها حروف، إلا أنّ الصوت بهنّ أقل من الصوت بالألف وأختها وقلة الصوت بهنّ ليس يخرجهنّ عن أن يكنّ حروفا" (قدوري الحمد، 2002، صفحة 163) " فليست تسمية الحركات حروفا صغارا بأبعد في القياس منه" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج 33/1) أقرّ ذلك ابن جني بعد قياسها على حروف المدّ التي تمتد وتطول أكثر مما هي عليه إذا وقعت بعدها الهمزة أو الحرف المدغم في مثل يشاء ويسوء ويجيء وفي مثل شابة ودابة، فكما أن حروف المدّ تطول فكذلك الحركات تطول في بعض البنى الصرفية لتحقيق وظيفة دلالية، فحق بهذا القياس أن تسمى حروفا.

ونجد ابن جني في موضع آخر يفصل في العلاقة بين الحركات وحروف المدّ بأن الحركات من نفس جنس حروف المدّ، فهي أجزاء منها وأبعاض لها " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج 33/1)، ويعلل بعد ذلك في نفس السياق سبب حكمه القاضي بأن الحركات أبعاض المدّ " ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج 34/1)

يلاحظ من هذا النص أمر هام وهو أن الحركات تشترك مع حروف المدّ في الوضوح السمعي إلا أنها أقصر من تلك الحروف فهي أبعاض لها ودليل ابن جني على ذلك أنك متى ما أطلت الحركة صارت حرف مدّ ويورد أمثلة على ذلك منها:

عَمَر — غَامِر

عُمَر — عُومَر

وذلك بإشباع الفتحة والضمة، وعليه يمكن القول بأن حروف المدّ عند ابن جني حركات طويلة على نحو ما يرى المحدثون وإن لم ينصّ على أنها حركات، ونجده في موضع آخر في كتاب الخصائص يؤكد هذه العلاقة بطرح عكسي وهي أن حروف المدّ تنتج بمطل الحركات "والحروف الممتولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة. وهي الألف والياء والواو" "اعلم أن هذه الحروف أين وقعت وكيف وجدت بعد أن تكون سواكن يتبعن بعضهن غير مدغمات ففيها امتداد ولين؛ نحو قام، وسير به، وحوّ، وكوز، وكتاب، وسعيد، وعجوز (ابن جني، الخصائص، صفحة ج 125.124/3)، "ويراد بالأحرف الممتولة أحرف المدّ" (العبيدي، 2007، صفحة 195).

ونجد ابن سينا يصرح بقيينه من وجود علاقة بين حروف المدّ والحركات وأنها من حيث الكمية أكبر منها أي من حيث المدة الزمنية المستغرقة للتصويت بها، وأن الحركات تستغرق وقتا أقلّ وذلك بالقدر الذي يسمح للانتقال من حرف إلى حرف "ولكني أعلم يقينا أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة، وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة، والياء المصوتة إلى الكسرة" (ابن سينا، 85 صفحة) فالعلاقة التي أدركها القدامى بين الحركات وحروف المدّ في قوله هذا هو نفس ما نجده في ضوء علم الأصوات الحديث، " وفي التصوير الطيفي للكلام على جهاز الناقل الطيفي (الاسبكتروجراف) تظهر هذه الجهارة واضحة كما تظهر الصورة الآتية لكلمة

(كاتِب) (الأنصاري، 2013، صفحة 65.64)

Scanned with Cam

الرسم الطيفي لكلمة (كاتب)

والملاحظ في الرسم الطيفي أعلاه أنه لا فرق بين الألف التي بعد الكاف، وكسرة التاء، إلا في الكمية التي تظهر في كثافة الظل بعد الكاف، لأن حركتها طويلة، وأقل منها كثافة في كسرة التاء، التي أنها بمقدار نصف الألف.

و نجد المحدثين يصنفون الصوائت إلى قسمين وذلك باعتبارين:

- باعتبار النوع (quantity) إلى ثلاثة: الكسرة، الضمة والفتحة

- باعتبار الكمية (quality) أو الزمن المستغرق لنطق هذه الصوائت إلى ستة:

وهي ثلاثة قصيرة ويقابلها ثلاثة طويلة من جنسها وهي:

- الكسرة القصيرة (ـِ) ————— الكسرة الطويلة (ـِي).

- الضمة القصيرة (ـُ) ————— الضمة الطويلة (ـُو).

- الفتحة القصيرة (ـَ) ————— الفتحة الطويلة (ـَا).

ويمكن أن نجمع هذه الحالات الست: الياء المكسور ما قبلها والواو المضموم ما قبلها والألف المفتوح ما قبلها في مثال شائع عند النحاة والقراء يلخص هذه الحالات هو كلمة: (نُوحِيهَا) بمقاطعها الثلاثة الطويلة المختلفة.

وفي الأخير يمكن أن نعتبر أن ما قدمه المتقدمون من نتائج تخص الصوائت الطويلة (حروف المد) هي نفسها التي تخص الحركات وذلك لأنها من جنسها فالاختلاف بينها في الكم فقط "ومعلوم أن ما يقال عن الحركات الطويلة ينطبق على الحركات القصيرة لأنها بعضها، كما قرروا هم، فما يتصف به الكل ينطبق على الجزء فهما متماثلان في الكيف مختلفان في الكم DURATION" (بشر، علم الأصوات، 2000، صفحة 221).

رابعاً: علاقة حروف المد بالهمزة:

قسّم الخليل الحروف العربية إلى مجموعتين: مجموعة لها مدارج وأحياز في جهاز النطق، وهي الحروف الصراح أو الصوامت، ومجموعة أخرى ليس لها حيز تنسب إليه وإنما تمتد في الجوف، وهي حروف المد أو الصوائت وهي (الياء والواو والألف والهمزة)، وفي العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صراحاً لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة " (الخليل، صفحة ج 1/ 57) وهو بصدد تأليف أول معجم في العربية (العين) رتب حروف العربية ترتيباً صوتياً فبدأ بأبعد الحروف مخرجاً إلى جهة الصدر، من الحروف الحلقية انتهاء بالحروف الشفوية إذ جعل الصوائت في آخر الترتيب معتمداً على اختبار الذوق ورهافة الحس " وإنما كان ذواقه إيّاها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو: أب، أث، أغ، أع، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها وهو الميم " (الخليل، صفحة ج 1/ 47) وقد ذيل هذا الترتيب بالصوائت الثلاثة ومعهم الهمزة، وذلك لما تتميز به الصوائت من خصوصية في النطق، ولكونها ليس لها مدارج ومقاطع في جهاز النطق، لذلك سمّاها هوائية، " وسميت جوف لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هوائية فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، وكان يقول كثيراً " الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء " (الخليل، صفحة ج 1/ 47).

والحاق الخليل الهمزة بالصوائت لم يكن اعتباطاً وإنما كان عن تذوق ممحّص، فهو يدرك أنها مع الهمزة لها خصائص مشتركة، وذلك "لأنها [أي الهمزة] تصير بالتسهيل أحدها " (قدوري الحمد، 2002، صفحة 166)، لأن " من العرب من يهزم ومنهم من لا يهزم " (الأخفش، 1990، صفحة ج 1/ 80) ولأن "المدّات الثلاث منوطات بالهمز، ولذلك قال بعض العرب في الوقوف: افعلىء و افعلاً و افعلاً، فهمزوا الياء والألف والواو حين وقفوا " (الخليل، صفحة ج 7/ 456)، فالهمزة تؤدّي بالتحقيق مستوفية كلّ صفاتها، كما تؤدّي بصور أخرى قريبة في طبيعتها من الصوائت، " كأن تكون بيّن بيّن أو تنقلب إلى صوت من جنس الحركة قبلها، بمدّ الحركة مدّاً طبيعياً بمقدار حركتين تعويضاً عن الهمزة أو حذفها "

(MOSTAFA، 2016، صفحة 76). وتشترك مع أصوات العلة في وضوح الصوت وعلوه، لكونها تحتاج إلى جهد عضلي لنطقها، فقد وصف بعض المحدثين طريقة نطق الهمزة بأنها لا تتم بمرحلة واحدة وإنما يتم نطقها بمرحلتين "الأولى: انطباق الوترين الصوتيين، وفيها ينضغط الهواء من خلفهما فينقطع النفس.

والأخرى: انفراج الوترين الصوتيين فجأة محدثا انفجارا مسموعا" (MOSTAFA، 2016، صفحة 01)، ولعلّ القدامى عندما وصفوا الهمزة بالجهر، نظروا إلى المرحلة الثانية من تشكيلها، وفيها يهتز الوتران الصوتيان، وهذا مسوغ آخر لتصنيف الهمزة مع الصوائت، التي هي الأخرى يهتز فيها الوتران الصوتيان "فالهمزة تتميز عن غيرها من الأصوات بأن الوترين الصوتيين يقومان بدور بارز في تشكيلها ومخرجها معا، وهذا لعله ما يقربها من الأصوات الصائتة على نحو ما" (MOSTAFA، 2016، صفحة 78)

"لكنهم لعدم معرفتهم بتشريح الحنجرة ودور الوترين في إحداث الجهر جعلهم ذلك يربطون بين هذه الأصوات والهمزة (...) فاستطاع هؤلاء العلماء بحسهم المرهف أن يدركوا تلك العلاقة بين الهمزة والجهر" (قدوري الحمد، 2002، صفحة 169)، و صوت الجهر هو نفسه الذي عثر عنه سيبويه في سياق حديثه عن تحقيق وتخفيف وإبدال الهمز بأنه نبرة في الصدر "واعلم أنّ الهمزة إنّما فعل بها هذا من لم يخففها؛ لأنه بُعد مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً" (سيبويه أ، 1982، صفحة ج 3/ 548) ولتأكيد أن ما يقصده من قوله: نبرة في الصدر، هو صفة الجهر قوله في وصف المهموسات بأنها لا يخرج معها هذا الصوت، وإنما يخرج مع التنفس "وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ، لأنهم يخرجون مع التنفس لا صوت الصدر؛ وإنما تنسل معه" (سيبويه أ، 1982، صفحة ج 4/ 175) وضدّ الهمس الجهر كما هو معلوم والأشياء بضدّها تعرف.

أما حكم الخليل على كون مخرجها من أقصى الحلق "وأما مخرج الهمزة فمن أقصى الحلق. وهي مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفّه عنها لانت وصارت الياء والألف والواو على غير طريقة الحروف الصّاح" (الخليل، صفحة ج 1/ 52) باعتبار أنها محققة وهذا ما درج عليه سيبويه ومن تبعه من القراء "فللحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجاً: الهمزة والياء والألف" (سيبويه أ، 1982، صفحة ج 4/ 433) أما وصف الخليل الهمزة بأنها جوفية مع حروف المد في قوله "وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة" (الخليل، صفحة ج 1/ 57) فلأنها أكثر الأصوات تقلباً واعتلالاً وتسهيلاً "إذ وجد أن هذه الأصوات اللغوية أكثر اعتلالاً وانقلاباً وسقوطاً وهو أمر يسوغ له إدخال الهمزة في هذه الطائفة من الأصوات، فمسلكتها في العربية من قبل الاعتلال والانقلاب والسقوط مشابه لمسلك الألف والواو والياء في كثير الأحيان" (المطلبي، 1984، صفحة 16)، "فقد ألحقوا بها الهمزة في قضايا الإعلال والإبدال" (الراجحي، دت، صفحة 162) فالياء التي في الجمع (خطايا) منقلبة عن الهمزة التي هي في مفرداتها (خطيئة)، وواو (أومن) منقلبة عن الهمزة التي في (أومن) والهمزة التي في (سماء) و (بناء) و (رسائل) و (عجائز) أصلها واو أو ياء لأنها مأخوذة من (يسمو) و (يبني) و (رسول) و (عجواز) فقلبت همزة لمنع توالي صوتين من أصوات العلة.

ومن اعتبارات إلحاق الهمزة بحروف المد انتهاءها عند الهمزة، فوقوف بعض القبائل العربية على حروف المد بالهمز دليل ذلك، يقول سيبويه "وهي حروف لين ومدّ، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، فإذا وقفت عندها لم تضمّها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها، فيهوي الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة" (سيبويه أ، 1982، صفحة ج 4/ 177.176) ويقول فيما نقله عن الخليل الذي علّل انتهاء حروف المد عند الهمزة على مستوى الكتابة بأن العرب كتبت بعد واو الجماعة المتصلة بالأفعال ألفا والتي يصطلح عليها النخاة الألف الفارقة "وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا: ظلموا ورموا، فكتبوا بعد الواو ألفا" (سيبويه أ، 1982، صفحة ج 4/ 335)، ويقرر ابن جني (ت392هـ) بأنها تنتهي إلى صوت واحد مشترك هو الهمزة "فيفضي حسيرا إلى مخرج الهمزة، فينقطع بالضرورة عندها إذا لم يجد منقطعا فيما فوقها" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج 1/ 21)

نستنتج مما سبق أن انتباه علمائنا القدامى لعلاقة حروف المد بصوت الهمزة يشي بمدى إدراكهم لماهية الصوائت وخصائصها والتي لا تختلف كثيرا عن صوت الهمزة في بعض حالاتها كما أن حروف المد تنتهي إلى صوت الهمزة عند النطق بها.

خامسا: وصف مخارج الصوائت:

قبل أن نتبع منجز القدامى في وصفهم مخارج الصوائت لا بد أن نؤكد حقيقة صعوبة تحديد مخارجها، وهذه الحقيقة اعترف بها بعض المتقدمين والمتأخرين، فهذا ابن سينا يقول وهو يعرض وصف مخارجها "ثم أمر هذه الثلاثة عليّ مشكل" (ابن سينا، صفحة 85)، ويقرّ برجستراسر بهذه الصعوبة رغم تبين العصور واختلاف الوسائل "فللحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة، غير أنّ تحديدها وتمييزها مشكل" (قدوري الحمد، 2002، صفحة 139)، فالصعوبة تكمن في اتساع مخارجها، وفي عدم الانطباق الكلي للمخرج أو التضييق فيه إلى درجة حدوث احتكاك واضح يمكن تحديد موضعه بسهولة كما هو الشأن في مخارج الصوامت، "فلجميع الحروف مخرج محقق إلا حروف المد، إذ لا تنضغط أصواتها في موضع انضغاطا ينقطع به الصوت، أو يقترب اللسان من الحنك قربا واضحا ينتج عنه احتكاك

وحفيف يمكن تحديد موضعه، خاصة وأن حركة اللسان داخل الفم مستخفية لا تظهر للعيان، يضاف إلى هذه الصعوبة عدم علم القدامى بماهية الوترين الصوتيين اللذين هما آلة صفة الجهر، هذه الصفة التي لا تتفكك عن الصوائت بأنواعها الستة، والتي عبر عنها المتقدمون بصوت الصدر،

فالصوائت مجهورة لأن الصوت فيها مرتفع مسموع "يُقَالُ: جَهَرَ بالقول إذ رَفَعَ بِهِ صَوْتَهُ" (ابن منظور، 1414 هـ، صفحة ج4/150) وصفة الجهر في اصطلاح القدامى "حرفٌ أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت." (سيبويه أ، 1982، صفحة ج4/434) فإشباع الاعتماد في الموضع ينتج عنه ارتفاع الصوت "ومن إشباع الاعتماد يحصل ارتفاع الصوت" (الاسترابادي، 1984، صفحة ج3/258)، هذا الارتباط يشير إلى معرفة القدامى بفيزيولوجية حدوث الجهر، فإشباع الاعتماد يتحول تيار الهواء الصادر من الرئتين إلى صوت مجهور. فبالرغم من هذه الصعوبة استطاعوا برهافة حسهم وصف الكيفية التي تنتج بها الصوائت وصفا دقيقا، مع ملاحظة صفة الجهر رغم عدم معرفتهم بالآلة التي تولد هذه الصفة الملازمة للصوائت، فما توصل إليه القدامى في وصفهم لمخارج الصوائت وصفاتها يضاهي إلى حد كبير ما توصل إليه المحدثون بيد أنهم يفتقرون إلى المخابر التي حظي بها الدرس الصوتي الحديث.

فالخليل يعزبها إلى مخرج الجوف يقول "وسُمِّيَتْ جَوْفًا لأنها تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الخلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجَوْفُ" (الخليل، صفحة ج1/57) فهو يقرر بهذا أنه لا حيز للصوائت، وفي قول آخر نقله عنه الأزهرى يصف مدارجها التي تخرج منها "ومدارج أصواتها مُخْتَلِفَةٌ، فمدرجة الألف شاخصة نَحْوُ الْغَارِ الْأَعْلَى، ومدرجة الياء مختفضة نَحْوُ الْأَضْرَاسِ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين، وأصلهن من عِنْدِ الْهَمْزَةِ" (الأزهرى، 2001، صفحة ج1/51).

فقد نسب الخليل الصوائت إلى مخرج الجوف، وأقر بأنها لا تقع في مدرجة من مدارج الفم، يعني بذلك ليس لها مخرج محقق، وأنها كلها من مخرج واحد، ولعل بقوله هذا يشير إلى الصفة المشتركة بين حروف المد الثلاثة وهي خروج الهواء سلسا بدون اعتراض واضح، بجرس ناتج عن النغمة الحنجرية التي تصدر من اهتزاز الوترين الصوتيين علما أنهم لم يكونوا على دراية مباشرة بماهيتها في جهاز النطق وفي هذا السياق يجب أن نشير إلى أنه في الموضع الثاني الذي نقله عنه الأزهرى، يريد التمييز بين الصوائت الثلاثة ببيان مدارجها المختلفة والتي تنماز بها عن بعضها، وهو ذلك الصدى الناتج عن مرور النغمة الحنجرية في التجويف الحلقي والفموي وإلا كانت صوتا واحدا، ومما يدعم هذا التخريج قول ابن جني مبينا امتداد الصوت في الجوف "فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقطع الصوت عند امتداده واستطالته، استمر الصوت ممتدا حتى ينفد" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج1/21)، وفي قول آخر مبينا اختلاف الأصوات الثلاثة وتمايزها عن بعضها "إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج1/21)، ويعلل ذلك ابن جني مبينا مخارجها وحالة الحلق والفم والشففتين على منوال وصف المحدثين لها، رغم أنهم كانوا يعتمدون في الاختبار على وسائل تحليل بسيطة تمثل في التجربة الذاتية والتذوق الشخصي، يقول ابن الجزري في مقدمته الجزرية:

مخارج الحروف سبعة عشر على الذي يختاره من اختر
يقول ابن جني "والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال، مختلف الأشكال" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج1/21).

مخرج الألف والفتحة:

أما قول الخليل: فمدرجة الألف شاخصة نَحْوُ الْغَارِ الْأَعْلَى، أي أن صوت الهواء المنبعث من الرئتين، يستعلي نحو الغار الأعلى وينتشر بكل حرية في فراغ الفم، لذلك عبر عنه سيبويه بالهاوي لاتساع مخرجه، فمخرجه متسع أكثر من اتساع مخرج الواو والياء، يقول سيبويه "الهاوي وهو حرفٌ اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو ... وهي الألف" (سيبويه أ، 1982، صفحة ج4/436)، ونجد تدقيقا آخر لابن جني وهو يصف مخرج الألف مركزا على انفتاح الفم والحلق "أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين، غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج1/21)، فانفتاح الفم يتبعه انفتاح الشفتين بلا شك، يجعل الهواء مطلقا غير معترض أو مزاحم فأما "الألف المصوتة وأختها الفتحة، فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم" (ابن سينا، صفحة 84/85).

مخرج الياء والكسرة:

يصف الخليل مخرج الياء بأنها مختفضة "ومدرجة الياء مختفضة نَحْوُ الْأَضْرَاسِ" وذلك لكون اللسان يرتفع في مقدمته بدون احتكاك ينتج عنه حفيف وبالمقابل ينخفض جزؤه الخلفي نحو الأضراس، وهذا الارتفاع للسان يذكره سيبويه صراحة "وترفع في الياء لسانك قَبْلَ الحنك" (سيبويه أ، 1982، صفحة ج4/436)، ونجد ابن جني يشير إلى حالة اللسان

وهو مرتفع بدون احتكاك تاركا فجوة يستطيل فيها الصوت، حيث إن جنبتي اللسان تلامسان الأضراس العليا والسفلى "وأما الباء فنجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان، فجري الصوت متصعدا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج1/ 21)، ويقول ابن سينا "وأما الباء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضيق للمخرج وميل به سلس إلى الأسفل" (ابن سينا، صفحة 84-85)، يشير هو الآخر إلى دور اللسان في إنشاء صوت الباء مع أختها الكسرة والذي يكون في حالة ارتفاع، لكن بدون احتكاك، وهذا ما يعبر عنه بقوله "مع أدنى تضيق"، وهذا ما يجعل الهواء المنبعث يميل سلسا إلى أسفل، لأن المرتفع من اللسان مقدّمته.

مخرج الواو والضمة:

وقول الخليل "ومدرجة ألّواو مستمرة بين الشفتين" يلاحظ فيه تركيزه على عمل الشفتين لأن عملهما ظاهر للعيان عند النطق به، ولكونهما كافيين لتمييزه عن غيره من الصوائت، وهذا ما يذكره سيبويه "لأنك قد تضم شفتيك في الواو" (سيبويه، أ، 1982، صفحة ج4/ 436)، ويركز ابن جني أيضا على دور الشفتين في إنتاجها وتمييزها عن غيرها من الصوائت "وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج، ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت". (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة ج1/ 21) —

ويؤيد هذا ابن سينا في بيان مخرج الواو والضمة "وأما الواو المصوتة وأختها الضمة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضيق للمخرج وميل به سلس إلى فوق"، (ابن سينا، صفحة 84-85)، ففي قوله مع أدنى تضيق للمخرج يشير إلى ارتفاع مؤخر اللسان، الهيئة التي تجعل الهواء يميل سلسا إلى فوق.

ما يمكن استنتاجه من هذا التوصيف كله أن القدامى اعتمدوا في تحديد مخارج الصوائت على مقاييس مضبوطة، بل إنها نفس المقاييس التي اعتمدها المحدثون، وعلى رأسهم العالم الإنجليزي دانيال جونز DANIEL JONES وهي: "1. النقطة التي تتصعد من اللسان نحو الحنك الأعلى.

2. مقدار الانفتاح بين النقطة المتصاعدة من اللسان والحنك الأعلى.

3. الشكل الذي تتخذه الشفتان عند النطق بالصوت" (قدوري الحمد، 2002، صفحة 147)

وبهذه المقاييس انتهى إلى ضبط تسعة صوائت معيارية والتي نجد لها مقابلات من الصوائت العربية.

خاتمة:

بعد هذه الدراسة التوصيفية اتضح أن القدامى اعتنوا بالحركات اعتناء مقبولا حسنا، وعرفوا مجمل خصائصها النطقية والفيزيائية، أما أقوال بعض المستشرقين ومن تبعهم بنقص اهتمام القدامى بالصوائت وعدم كفاية الدرس حكم فيه نظر وإعادة مراجعة بالبحث والتقصي والاستقراء، أما إقرارهم بإهمال علماء السلف للمنطوق واعتناؤهم بالمكتوب فحسب رأيي بجانب للصواب لأن العلماء القدامى عاملوا الصوائت القصيرة (الحركات) معاملة الصوائت الطويلة (حروف المد) لأنها من جنسها وأبعاد لها بقطع النظر عن إدراكهم باختلاف وظيفة كل منهما، وما يمكن استنتاجه من هذا البحث مايلي:

نتائج البحث:

1. إن التقسيم الذي درج عليه القدامى للأصوات بكونها (صامتة وصائتة) والصوائت (قصيرة وطويلة) نفسه الذي درج عليه المحدثون، مع شيء من الاختلاف في المصطلح.
2. تعدد المصطلح عند القدامى يشي بمدى اهتمام علماء العربية القدامى بالصوائت، كما أن هذا التعدد لم يحدث خلطا ولا لبسا في التعامل مع الصوائت، كما أن كل مصطلح من المصطلحات يحمل في طياته معنى يوحى ببعد من أبعاد التحليل الصوتي (الفيزيائي، الفيزيولوجي، التركيبي والوظيفي)
3. اتضح من خلال وصف القدامى للصوائت أنهم اعتمدوا على المعايير نفسها التي اعتمدها المحدثون وهي:
 - النقطة التي تتصعد من اللسان نحو الحنك الأعلى.
 - مقدار الانفتاح بين النقطة المتصاعدة من اللسان والحنك الأعلى.
 - الشكل الذي تتخذه الشفتان عند النطق بالصوت.
4. تعامل القدامى مع الحركات على أنها أخوات حروف المد وأبعاد منها، فالوصف الذي يصدق على حروف المد نفسه الذي يصدق على الحركات المجانسة لها، إلا فيما يتعلق بكمية الصوت والاختلاف اليسير في درجة انفتاح الفم عند النطق بها.
5. لم يكن العرب بحاجة إلى شكل الحروف، لأن الكلام عندهم كان يقوم على أساس فطري صحيح، حتى دعت الحاجة إليه بشيوع ظاهرة اللحن بعد اختلاط العرب الأقحاح بالأعاجم، فالعرب عرفوا الإعراب فنا قبل أن يعرفوه علما.

6. تعدد المصطلح في حد ذاته يشي بمدى اهتمام علماء العربية القدامى بالصوائت، كما أن هذا التعدد لم يحدث خلطاً ولا لبساً في التعامل مع الصوائت، خاصة وأن تعدده لم يمس بالماهية، فالصوائت معروفة لأنها القسم الثاني للصوائت.
7. تنبّه القدامى إلى صفة الجهر بالرغم من عدم معرفتهم بحقيقة الوترين الصوتيين ويظهر ذلك في تعبيرهم عن هذه الصفة بصوت الصدر، وتصنيفهم الهمزة مع حروف المد.
8. كل مصطلح يوجي إلى مستوى من مستويات التحليل اللغوي ويحمل في طياته خاصية من الخصائص التي تنماز بها الصوائت.
9. درس الصوائت عند ابن جني مكتمل الجوانب سواء من حيث معرفته بعلاقة الحركات بحروف المد، ومعرفته بتميز الصوائت عن بعضها في نوع الصدى، ووصفه لفيزيولوجية الصوائت بدقة بنفس وصف المحدثين لأنه اعتمد في وصفه على ما اعتمد عليه المحدثون من (حالة الشفتين، ارتفاع اللسان، ودرجة الانفتاح).
10. إن الصوائت المعيارية التي توصل إليها دانيال جونز وضبطها في الشكل المشهور نجد لها مقابلات في العربية وهي الفونيمات العربية (الفتحة والألف، الكسرة والياء، الضمة والواو)، إضافة إلى الصوائت العربية السياقية، أي التي على شكل أوفونات مختلفة لا تغير المعنى (كالإمالة المتوسطة والشديدة، الفتحة والألف المفخمتين، والإشمام).

المصادر والمراجع:

1. MOSTAFA, B. (2016, أوت 01). الهمزة وأصوات العلة بين الوصف النطقي والبنية المقطعية. ISLAM FUTURA, p. 90.74.
- إبراهيم أنيس. (1961). الأصوات اللغوية. مصر: مكتبة الأنجلومصرية.
- إبراهيم أنيس. (1972). موسيقى الشعر (الإصدار 2). مصر: دار المعارف.
- ابن أبي طالب القيس مكي. (1404 هـ). الرعاية. عمان. الأردن: دار عمان.
- أبو الفتح عثمان ابن جني. (2000). سر صناعة الإعراب (الإصدار ط1). بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.
- أبو الفتح عثمان ابن جني. (بلا تاريخ). الخصائص. مصر: الكتب العلمية.
- أبو القاسم الزجاجي. (1986). الإيضاح في علل النحو (الإصدار 5). بيروت: دار النفائس.
- أبو بشر عمرو سيوي. (1982). الكتاب (الإصدار ط2). القاهرة / الرياض: مكتبة الخانجي / دار الرفاعي.
- أبو علي الحسين ابن سينا. (بلا تاريخ). أسباب حدوث الحروف. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- أحمد مختار عمر. (1997). البحث اللغوي عند العرب. القاهرة: عالم الكتب.
- الأخفش، أ. (1990). معاني القرآن. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- البقرة. (15).
- الطيب البكوش. (01 يناير 1974). النظريات الصوتية في كتاب سيوي. حوليات الجامعة التونسية، صفحة 148/149.
- الفرايدي خليل. (بلا تاريخ). العين. دار ومكتبة الهلال.
- برجستراسر. (1982). التطور النحوي للغة العربية. القاهرة/الرياض: مكتبة الخانجي/دار الرفاعي.
- بسام بركة. (بلا تاريخ). علم الأصوات العام. أصوات اللغة العربية. لبنان: مركز الانتماء القومي.
- جرجي زيدان. (1978). تاريخ آداب اللغة العربية. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
- جمال الدين ابن منظور. (1414 هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- حسام البهنساوي. (2005). الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث. مصر: دار زهراء الشرق.
- حسن سري. (1998). الرسم العثماني للمصحف الشريف. مدخل ودراسة. (الإصدار ط1). الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.
- حكيمة ؛ دين العربي فكاوي. (9, 2017). علم الأصوات الوظيفي ودوره في تعليمية اللغة العربية. مجلة تاريخ اللعوم، صفحة 11.
- خليل إبراهيم العطية. (1983). في البحث الصوتي عند العرب. بغداد: منشورات دار الجاحظ للنشر.
- رشيد عبد الرحمن العبيدي. (2007). معجم الصوتيات. العراق: مركز البحوث والدراسات الإسلامية.
- رضي الدين الاسترابادي. (1984). شرح الشافية. بيروت: دار الكتب العلمية.
- سلمان حسن العاني. (1983). التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية. (ياسر الملاح، المترجمون) المملكة العربية السعودية: النادي الأدبي الثقافي.
- سليمان بن نجاح أبو داود. (2002). مختصر التبيين لهجاء التنزيل. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد.
- عبد العزيز حليلي. (1991). اللسانيات العامة واللسانيات العربية تعاريف وأصوات. المغرب: منشورات دراسات سال.

- عبد الله بن محمد الأنصاري. (2013). القرينة الصوتية في النحو العربي دراسة نظرية تطبيقية. المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- عبد الرزاق. (دت). التطبيق الصرفي. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- غالب فاضل المطلبي. (1984). في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية. العراق: دائرة الشؤون الثقافية والنشر.
- غانم قدوري الحمد. (2002). المدخل إلى علم أصوات العربية. بغداد: منشورات المجمع العلمي.
- فخر الدين الرازي. (1420هـ). التفسير الكبير (الإصدار 3). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- كمال بشر. (1980). علم اللغة العام الأصوات (الإصدار 6). مصر: دار المعارف.
- كمال بشر. (2000). علم الأصوات. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- لطف الله ابن الغياث. (1975). المناهل الصافية. القاهرة: مطبعة التقدم.
- محمد الأزهرى. (2001). تهذيب اللغة. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- محمد بن إسحاق ابن النديم. (1997). الفهرست. لبنان: دار المعرفة.
- محمد زغوان. (تشرين الأول، 2005). إرهابات النشأة في النحو العربي. التراث العربي.
- محمد محمد داود. (2001). الصوائت والمعنى في العربية دراسة دلالية ومعجم. مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- موفق الدين ابن يعيش. (بلا تاريخ). شرح المفصل. بيروت: دار الكتب العلمية.